



المبحث الثاني

تَوْصِيفُ مُشْكَلَةِ لَفْفٍ
مِنْ الْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ

توصيف مشكلة الفقر من المنظور الإسلامي



رفض الإسلام كل وجهات النظر السابقة والمتعلقة
بمشكلة الفقر رفضاً تاماً، ونظر إلى مشكلة الفقر من منظور
جديد يتمثل فيما يلي :

(أ) **خطورة مشكلة الفقر** : يرى الإسلام أن الفقر مشكلة، بل هو آفة خطيرة
يُحْشَى سوء أثرها على الفرد والمجتمع معاً ، وعلى العقيدة والإيمان ، وعلى
الخلق والسلوك، وعلى الفكر والثقافة؛ ولذلك لم يَرِدْ في مدح الفقر آية
واحدة من القرآن، ولا حديث واحد يصح عن رسول الله ﷺ. وإنما
وردت أحاديث يستعيذُ فيها رسول الله ﷺ من الكُفْرِ، والفقر في سياق
واحد ، وذلك في قول رسول الله ﷺ : " اللهم إني أعوذ بك من الكُفْرِ
والفقر".^(١) وقوله "اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، وأعوذ
بك أن أَظْلِمَ أو أَظْلَمَ".^(٢)

(ب) **الفقر داء له دواء** : يرى الإسلام أن مشكلة الفقر داءٌ جعل الله له دواءً ،
وإذا كان الفقر قدراً من الله ، فإن مقاومته والخروج من عباءته من قدر الله
أيضاً ، وأن كل معضلة في الكون لها حل ، ولكل داء دواء ، فالذي خلق
الداء خلق له الدواء ، فالمرضُ بقدرِ الله والعلاجُ بقدرِ الله ، والمؤمن الحق
يدفع قدراً بقدرٍ. لذلك يجب على كل مسلم فقير أن يحاول الخروج من

(١) البخاري ، الأدب المفرد ، ترتيب وتقديم كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، حديث رقم ٧٠١.

(٢) الحافظ المصنف «أبو داود» ، سنن أبي داود ، شرح وتحقيق د/ السيد محمد سيد وآخرين ، دار
الحديث ، حديث رقم ١٥٤٤ ، بدون سنة نشر.

فقره بكل الوسائل المباحة التي سوف يتم تفصيلها فيما بعد. ومن هنا كان الاستسلام للفقر ذنباً يحاسب عليه المسلم أمام الله.

(ج) **الزهد لا يعنى ترك الدنيا :** إن الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في مدح الزهد في الدنيا لا تعنى مدح الفقر ، فإن الزهد يقتضى ملك الشيء ثم الزهد فيه، فالزاهد حقاً من ملك الدنيا فجعلها في يده، ولم يجعلها في قلبه. وقد امتن الله على رسوله بالغنى في قوله ﴿ وَوَجَدَكَ عَالِيًا فَأَغْنَى ﴾ [الضحى: ٨] كما جعل الله إيتاء المال من عاجل ثبوته لعباده المؤمنين في قوله ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِيبَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجعل لكم أنهرًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢]. كما أن رسول الله ﷺ قد مدح المال في قوله: "نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ".^(١)

(د) **الحث على القناعة :** إن الأحاديث الواردة عن رسول الله في الحث على القناعة ، والرضا بما قسم الله ، ليس معناها أن يرضى الفقراء بالعيش الدون وحياة الهوان، ولا القعود عن السعى إلى الغنى الحلال ، والحياة الطيبة، والعيش الرغيد.

إنما القناعة تعنى ترك الطمع، والحرص الشديد على الدنيا الذى صورهُ رسول الله ﷺ في قوله "لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بَتَغَى ثالثاً، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب".^(٢) فإذا ترك الإنسان الطمع بالقناعة منحه ذلك السكينة التى هى سر السعادة في الحياة الدنيا ، وَجَنَّبَهُ الإفراط والغلو الذى يرهق النفس والبدن معاً ؛ لذلك أمر رسول الله بالاعتدال في السعى للغنى، والإجمال في طلب

(١) ولى الدين التبريزى ، مشكاة المصابيح ، تحقيق الشيخ الألبانى ، المكتب الإسلامى ، دمشق ، حديث رقم ٣٧٥٦ ، بدون سنة نشر.

(٢) ولى الدين التبريزى ، مشكاة المصابيح ، المرجع السابق ، حديث رقم ٥٢٧٣ .

الرَّزْقِ فِي قَوْلِهِ "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجِلُّوا فِي الطَّلَبِ".

ولو ترك الإنسان يستسلم لنزعات جِرسه وطَمَعِه لأصبح حَظَرًا على نفسه ، وعلى مجتمعه، لذلك وَجَّهَهُ اللهُ إلى قِيَمٍ أرفعَ ومعانٍ أخلَدَ في قوله سبحانه ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ١١ ﴾ ﴿ قُلْ أَزَيَّنُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥]. وغيرها من الآيات التي لا يتسع المجال هنا لذكرها بالتفصيل. ^(١) فالقناعة إذاً ألا يكون الإنسان جشعاً شرها ولا حسوداً مُتَطَلِّعاً إلى ما ليس له، ولا في طاقة مثله.

(هـ) **المال مال الله** : يرى الإسلام أن المال مال الله هو خالقه وواهبه، وأن الغنى مُستَخْلَفٌ فيه وأمين عليه ، أى: أن الغنى هو نائبٌ عن المالك الأصلي وهو الله في رعاية المال، وتنميته، والتصرف فيه وفقاً لأوامره. ويؤكد القرآن هذه الحقيقة الأصيلة في قول الله سبحانه: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧]. وقوله: ﴿ وَعَاثُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ ﴾ [النور: ٣٣]. وقوله: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ومن هذه الآيات وغيرها يتضح أن المال في يد الغنى إنما هو في الحقيقة مال الله عنده، ورزق الله لديه!.

(١) لمزيد من الآيات الواردة في هذا المعنى انظر :

(أ) سورة النحل ، آية (٧١).

(ب) سورة الإسراء ، آية (٣٠).

(ج) سورة الأنعام ، آية (١٦٥).

ومن هنا أوجب الله تعالى على الأغنياء حقاً معلوماً للفقراء في أموالهم التي هي أموال الله التي آتاهم واستخلفهم عليها ، وذلك في قوله سبحانه ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٩] وقوله سبحانه ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] ولعل الحكمة من فرض حق للفقراء في أموال الأغنياء ، ترجع إلى أن كلا من الأغنياء والفقراء يعيشون في مجتمع واحد لا يستغنى أحدهم عن الآخر ، وأن غنى الأغنياء جاء من خلال ممارسة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة في المجتمع ، فإن كان هذا المجتمع به طائفة غير قادرة على العمل ، فعلى الأغنياء أن يقفوا بجانبهم ويأخذوا بأيديهم تحقيقاً لقول الله سبحانه ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] .

(و) إقرار الملكية الخاصة للمال : وإذا كان الأصل أن المال مال الله ، إلا أن الإسلام أقر الملكية الخاصة للمال ، لأن فيها إشباعاً لدافع فطري إنساني أصيل ، وذلك لما يترتب على الملكية الخاصة من آثار في تقدم المجتمع وازدهاره اقتصادياً واجتماعياً وضماناً لبقاء الحرية المدنية والحرية السياسية.

(ز) الدعوة إلى التكافل : دعا الإسلام الأغنياء إلى الإحسان إلى الفقراء والأخذ بأيديهم، إلا أن الإسلام لم يترك ذلك إلى ضمير الأغنياء وما تجود به أنفسهم، وتفويض به عواطفهم تجاه الفقراء، لأن في ذلك مضيعة للفقراء والمساكين وسائر ذوى الحاجات، وخاصة إذا قست القلوب، وضعف الإيمان، وغلب الشُّحُّ والأنانية على الأنفس ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ أَلْيَسَ ٱلْيَتِيمَ ۖ ۝١٧ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمَسْكِينِ ۖ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلَّذِينَ أَكَلَا لَمَّا ۖ ۝١٩ وَتَحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۖ ﴾ [الفجر: ١٧-٢٠] .

وفكرة الإحسان من أقدم الوسائل التي استخدمتها الديانات السماوية، والوضعية لمعالجة مشكلة الفقر في المجتمعات المختلفة، وقد اعتمدت عليها

الإنسانية عصوراً طويلة في مكافحة مظاهر البؤس والفقر ، إلا أن هذه الفكرة على وجاهتها وسموها لم تنجح في استئصال الفقر من جذوره ، وتنهض بجميع العجزة والمحتاجين إلى مستوى الحياة الإنسانية الكريمة ؛ ويرجع هذا الفشل إلى أن الإحسان يمثل في أغلب الأذهان واجبا لاحقا ، ومن ثم لم يشعر الفقير أن له على الغنى حقا يجب أن يطالبه به ويأخذه منه ، وظل الغنى مقتنعا أن الإحسان إلى الفقير مجرد واجب عليه يؤديه وقتما يشاء ، وكيفما يشاء دون أن يلزم نفسه أو تلزمه الدولة به.

(ح) وضع ضوابط للإنفاق الاستهلاكي : وضع الإسلام ضوابط للإنفاق الاستهلاكي يلتزم بها المسلم غنيا كان أو فقيرا. فليس الإنسان حرا في أن ينفق المال فيما يشاء ، وكيف يشاء ، بل يلتزم بأوامر الله في هذا المجال ، وتتمثل أهم هذه الضوابط فيما يلي :

● تحريم الإنفاق على أشياء معينة مثل : الخمر ، والمخدرات ، وغير ذلك من الأشياء المغيبة للعقل البشري ، وكذلك تحريم لعب القمار ، والمراهنات ، وكل ما يستجد من أشياء مشابهة .

● الإنفاق على الأشياء المباحة من طعام ، وشراب ، وملبس ، وغير ذلك دون تقدير أو تبذير لقول الله سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٩] ، وقوله سبحانه في بيان الصفات الحميدة لعباد الرحمن ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧] .

فالإسلام يأمر بالاعتدال في الإنفاق، ويبغض البخل والشح والتقتير وكذلك الإسراف والتبذير سواء بسواء.

(ت) الدعوة إلى توظيف الأموال : حرم الإسلام اكتناز المال، وتوعد من يفعل ذلك بالعذاب الأليم في الآخرة، وذلك في قول الله سبحانه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْزِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخَوِّنُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكَوِّنُ بِهَا جِبَاهَهُمْ وَجُنُوبَهُمْ وَظُهُورَهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]

وتحريم الاكتناز هدفه الأساسي دفع الأموال إلى دائرة الاستثمار في النشاط الاقتصادي بجوانبه المختلفة ، لأن في ذلك خيراً للمجتمع كله (فقراء وأغنياء) وعلاجاً لمشاكله الاقتصادية المتعددة ، ولا يخفى على أحد دور الاستثمار في فتح أبواب العمل المنتج أمام الباحثين عن العمل ولا يجدونه ، وفي ذلك علاج جزئي لمشكلة الفقر.

إن نظرة الإسلام إلى الفقر والمال والسابق بيانها أدت إلى أن يكون منهجه لعلاج مشكلة الفقر شاملاً وكاملاً ومتفرداً، بداية من تشخيص هذه المشكلة وانتهاءً بوضع الحلول المختلفة لها.

